التّربية بالأعمال لا بالأقوال

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية

التّربية بالأعمال لا بالأقوال

الخطبة المباركة في منزل اللّيدي بلومفيلد

في لندن في 24 كانون الأوّل 1912

هو الله

على كلّ إنسان أن يفكّر قبل كلّ شيء في تربية نفسه ويفكّر في إكمال نفسه لأنّ تربية النّفس لازمة قبل كلّ شيء.

لاحظوا أنّ جميع الكائنات محتاجة إلى التّربية، ونرى أنّ كلّ نبات مهما كان ضعيفًا يزداد قوّة عند الاعتناء به. وأنّ الأزهار مهما كانت صغيرة تصبح كبيرة بفضل التّربية والشّجرة عديمة الثّمر حين تربّونها تصبح مثمرة والأرض المليئة بالعوسج والأشواك حين تربّونها تصبح حديقة الرّياحين والحيوان ينقلب بالتّربية من حال إلى حال والحيوانات الوحشيّة حين تربّونها تصبح أليفة أنيسة.

إذن اتّضح أن للتّربية تأثيرًا في جميع الأشياء ولكنّ تأثيرها أعظم في العالم الإنسانيّ. والإنسان بدون التّربية حيوان بل أحطّ من الحيوان فمثلاً لو بقي الأطفال في الصّحراء فإنّهم لن يتربّوا بل يبقون جهلاء حتمًا. ولا شكّ أنّهم يبقون ولا علم لهم بالمدنيّة. فلا صناعة ولا تجارة ولا زراعة. مثل أهالي أواسط أفريقية الّذين هم في منتهى الوحشيّة.

ما الّذي ميّز العالم الأوروبّيّ عن العالم الأفريقيّ؟ لا شكّ أنه التّربية. لأنّ أهالي أوروبّا حازوا على التّربية وأهالي أفريقيا حرموا منها وواضح ومشهود أنّ الإنسان يحتاج إلى التّربية.

والتّربية على نوعين: تربية روحانيّة وتربية جسمانيّة. تربية طبيعيّة وتربية إلهيّة. إنّ أنبياء الله مربّون روحانيّون ومعلّمون إلهيّون وهم يربّون النّاس بالتّربية الإلهيّة فيربّون قلب الإنسان وأخلاقه.

وعندما تتربّى روح الإنسان وقلب الإنسان وأخلاق الإنسان فإنّ التّربية الجسمانيّة تتحقّق حتمًا. فتحصل التّرقّيات الجسمانيّة ضمن التّرقّيات الرّوحانيّة. فأتمنّى إذن أن تبذلوا الجهد لتربية أنفسكم أوّلاً وتربية أخلاقكم وتنظيم أقوالكم حتّى تتبرّأوا من النّواقص وتتزيّنوا بفضائل العالم الإنسانيّ وعند ذلك تقومون بتربية النّاس لأنّ العالم الإنسانيّ مظلم. وإنّكم تلاحظون أنّ الحرب والقتال والنّزاع والجدال والخصام مستمرّة فالتمسوا من الله لعلّه يوفّقكم ويؤيّدكم في سبيل خدمة العالم الإنسانيّ وتصبحوا سبب نورانيّة هذا العالم.

وكذلك فإنّ قوّة التّعليم والتّربية على نوعين: نوع تتمّ فيه تربية النّاس بواسطة الأقوال ونوع تتمّ فيه تربية النّاس بواسطة الأعمال. فبإمكان الإنسان أن يربّي النّاس بالأقوال ولكنّ التّربية بالأعمال أعظم من التّربية بالأقوال لأنّ تأثير الأعمال أشدّ فمثلاً إنسان يتكلّم عن الوفاء ويدعو النّاس بلسانه إلى المحبّة والوفاء في حين لو يقوم هو بواجب المحبّة والوفاء فإنّ عمله له تأثير أكبر، أو مثلاً إنسان يدعو النّاس إلى الكرم في حين لو يكون هو نفسه كريمًا فإنّ عمله له تأثير أكبر. أو مثلاً إنسان يدعو إلى الرّأفة في حين لو يكون هو رؤوفًا فإنّ تأثيره يكون أكبر. فالإنسان الّذي يدعو إلى شيء تكون دعوته أكثر تأثيرًا لو قام هو بتطبيق ما يدعو إليه. أمّا لو أنّه دعا النّاس إلى حسن الأخلاق وكان هو سيّئ الأخلاق فلن يؤثّر فيهم أبدًا. ولو دعا النّاس إلى العدل وكان هو غير عادل فأيّة فائدة يجني من ذلك؟ ولو دعا النّاس إلى وحدة العالم الإنسانيّ وكان هو غير عامل بها فأيّة ثمرة تظهر من ذلك.

إذن يجب على الإنسان أن يربّي الآخرين بأعماله لأنّ الإنسان ما لم يكن جوهر التّقديس وما لم يكن عنده إيمان تامّ وما لم يكن مضحّيًا فاديًا وما لم تكن إحساساته إلهيّة وروحه منجذبة بالرّوح القدس وأفكاره نورانيّة وقلبه مقدّسًا وأعماله خيريّة فلا شكّ أنّ كلامه لن يؤثّر أبدًا وأفكاره لن تثمر أبدًا وكلّ ما يقوله وما يكتبه عبث وهباء.

إذن فاسألوا الله أن يوفّقنا إلى أعمال خيريّة ويوفّقنا إلى أخلاق روحانيّة فعند ذاك نستطيع أن نخدم العالم الإنسانيّ وعند ذاك نستطيع أن نكون سبب نورانيّة العالم الإنسانيّ وعند ذاك نستطيع خدمة وحدة العالم الإنسانيّ وعند ذاك نستطيع القيام بنشر الصّلح العموميّ. وأرجو أن تتوفّقوا إلى هذه الأعمال الخيريّة.